مدخل إلى علم التاريخ

الاسم بالعربية

Course Name

استاذ المقرر

د/ عبدالحليم رمضان

جامعة الملك فيصل

عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد

كلية الآداب

المحاضرة الرابعة

مصادر ومراجع التاريخ المؤلفة

مراجع التاريخ المؤلفة ، مخطوطة ومطبوعة

- الكتاب المخطوط .
- مقابلة نسخ الكتب المخطوطة .
- الكتاب المطبوع .
- تقويم المرجع .
- ما كتبه الرحالة والجغرافيون .
- فى نسبيَّة المصدر والمرجع .
- الصحافة كمرجع تاريخى .
- كتب التاريخ ومراجعة فى المكتبات العربية والأجنبية .

ننتقل الآن إلى المراجع أو الكتب التى كتبها المؤلفون وهم على وَعْى كامل بأنك وأنا سنقرأ هذه الكتب ، وهم يَودون أن نقتنع بما كتبوا وأن نَميل لآرائهم . إن المؤلف يكتبُ المرجع أو الكتاب وهو على وعى كامل برغبته الحقيقية فى أن يقرأه الناس ويأخذوا بما فيه .

ولأن هؤلاء المؤلفين بشر ، فهم أحْيانا عُرضة للخطأ الذى هو لازمة بشرية وعُرضة للجنوح إلى الهوى وعُرضة لفرض نَظْرتهم للحياة على تفسير الأحداث . . . وما إلى ذلك . لكل هذا وغيره كان من الضرورى **نقد المرجع** أو معرفة ظُروف كتابته وطابع كاتبه وذلك هو موضوع بابنا هذا .

والمراجع التى بين أيدينا الآن امَّا مخطوطة (قبل اكتشاف الطباعة وإن كان هذا لا يمنع من وجود مخطوطات بعد عصر المطبعة) وإما مطبوعة .

والذى لا شك فيه أن عصر المخطوط قد تأخر بعض الشيء فى الحضارة الإسلامية ، فنحن لم نرمخطوطات مؤلّفة فى أوائل القرن الأول الهجرى أو لم نسمع أن كتابا مخطوطا ألف ، بمعنى أن الفهرست لابن النديم وغيره من الكتب التى حاولت حَصْر الإنتاج الفكرى العربى لم تشر لشيء من ذلك ، وذلك يرجع فى جملته لعدة أسباب :

١ – كان العربُ يفضلون التعليم والتعلُّم بالرواية على التدوين فى بداية الأمر ، ولم يكن العرب بِدْعاً فى هذا فنحن نجد أن بعض الفلاسفة اليونانيين كانوا لا يرتاحون كثيرا لكثرة التدوين فهُم – على حد قولهم يفضلون وجود أفكارهم فى صدور الناس وعقولهم بدلاً من وجودها على جلود البقر . ومع هذا فقد ثبت أن بعض الشعر الجاهلى قد وصل إلى العرب مكتوبا .

٢ – فى بداية الإسلام ، كتب المسلمون القرآن ، ولم يكتبوا الحديث إلّا قليلا استجابة لما ورد فى حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تكتبوا عنّى شيئاً سوى القرآن ، فمن كتب عنى شيئا سوى القرآن فليمحه » رواه مسلم فى صحيحه .

ويخلط بعض الباحثين بين الوثائق والمخطوطات ، وحقيقة الأمر أن المخطوطات كتب عادية ، كالكتب المطبوعة التى بين أيدينا . ولكن مؤلفيها لم يدركوا عصر المطبعة فدفعوا بها إلى النساخ . إذن لابد أن يقوم المخطوط أو ينقد على نحو ما ينقد الكتاب ، ولابد من تحليل محتوى المخطوط على نحو ما نحلل محتوى الكتاب . والمادة فى المخطوط مثلها فى الكتاب المطبوع ، مادة إرادية أراد لها مؤلفها أن تكون شاهدا على التاريخ . كل ما فى الأمر أن المخطوط لأنه لم ينتشر على نطاق واسع ولم تتداوله أيد كثيرة فربما حوى حقائق ومعلومات جديدة . وتلك ميزته الرئيسية على الكتاب المطبوع .

وقد حصر العاملون فى مجال تحقيق التراث أساليب شتى لاكتشاف التزييف ومن ذلك :

١ – أن يرد فى الكتاب (المخطوط) وقائع وأحداث بعد عصر المؤلف أو بعد وفاته إن كانت سنة الوفاة محقّقة يقينا . ويذكر عبد السلام هارون وهو مُحقّق له نشاط فى مجال التحقيق وافر أن من الأمثلة على ذلك مخطوط موجود فى دار الكتب المصرية يحمل عنوان (كتاب تنبيه الملوك والمكايد) منسوبا للجاحظ ودليل تزييفه أنه يحوى باباً عن كافور الأخشيدى وما عصر الجاحظ كافورا .

٢ – اختلاف أسلوب الكتاب (المخطوط) عن الأسلوب المعهود للكاتب أو طريقته فى البحث أو المجال الذى تعود أن يكتب فيه ، غير أن ذلك كله يجب أن يؤخذ بحذر لأن أسلوب الكاتب ودرجة اتقانه تختلف باختلاف مراحل عمره ، فعادة ما تكون كتابات المؤلف وهو كبير السن أكثر تحفظا وأدعى للدقة والتثبيت مما كتبه فى مطلع شبابه .

٣ – أما أساليب الفحص الشكلية كفحص مادة الكتابة (الأحبار) وأداتها (الأقلام) والمادة المكتوب عليها (الجلد ، الرقّ ، الورق بأنواعه . .) فقد سبق أن تعرَّضنا لها عند حديثنا عن الوثائق فارجع إليها .

٤ – نوع الخط أيضا من المسائل التى تساعد على تحقيق النص ونسبته لعصره ومؤلفه ومكانه ، فالخط المغربى له طبيعة مغايرة للخط المشرق ، والخط الأندلسى فيه ميل وفيه محاكاة أو تأثيرات من الحروف اللاتينية . . وحتى الآن ورغم استقرار الخط العربى ، فان المغاربة يستخدمون الأرقام العربية (1,2,3,000) والمشارقة يستخدمون الأرقام الهندية (١ – ٢ – ٣) وقلّما يضع المصريون وأهل الجزيرة نقطتين تحت الياء الأخيرة (ى) بينما يفعل ذلك الشوام . . وكان الخط العربى غير منقوط فى مرحلة من المراحل

مقابلة النسخ أو المعارضة :

إذا عثر الباحث على النسخة الأصلية التى كتبها المؤلف بخط يده فانه يكون بذلك قد عثر على كنز ثمين ، لكن عليه أن يتأكد أولا من أن هذه النسخة هى فعلا بخط المؤلف ، لأن بعض الوراقين أو النساخين قد يعمدون إلى كتابة المخطوط بأيديهم ثم ينسبونه للمؤلف لزيادة قيمته أو ليبتغون من وراء ذلك سعرا كبيرا .

وأساليب التأكد من ذلك كثيرة منها :

١ – مقارنة خط المخطوطة بمخطوطات أخرى بخط المؤلف إن وجدت .

٢ – التأكد من أن المادة المكتوب عليها المخطوط كانت معروفة فى عصر المؤلف .

٣ – التأكد من أن الحبر أو مادة الكتابة كانت معروفة فى عصر المؤلف .

٤ – طريقة الكتابة العربية مرت بتطورات فقد كانت غير معجمة (منقوطة) ثم أعجمت (نقطت) وكان الشكل يأخذ فى بعض المراحل شكل النقاط ثم تطور إلى ما نعرفه اليوم ، ولابد أن تكون طريقة كتابة المخطوط متمشية مع ما تذكره المراجع عن نوع الكتابة المعروف فى ذلك الوقت .

تقويم المرجع :

تناولنا فيما سبق بعض ما يتعلق بالمخطوطات كمراجع ذات طبيعة خاصة وإن كان مضمون المخطوط لا يختلف عن مضمون الكتاب المطبوع . فكلاهما مرجع أو كتاب له مؤلف من البشر وهؤلاء المؤلفون متباينون « فمن مُخْبِر عن أمرٍ كَذَب يقصد فيه نَفْسه ، فيَعظُمَ بنى جنسه ويُذْرى بخلاف جنسه ، وإن كلا هذين من دواعى الشهوة والغضب المذمومين . ومن مُخْبِر عن كذب فى طبقة يحبهم لشكر ، أو يبغضهم لنكر . وهو مقارب الأول ، فان الباعث على فعله من دواعى المحبة والغلبة . ومن مخبر عن شيء كذب متقربا إلى خير بدناءة الطبع أو مُتَّقيًا لشر من فشل أو فزع . ومن مخبر عن شيء كذب طباعا ، كأنه محمول عليه غير متمكن من غيره . . ومن مخبر عن شيء جهلا وهو المُقلِّد للمُخْبِرين » .

ما كتبه الرحالة والجغرافيون :

تعد كتب الرحالة والجغرافيين من أهم المراجع التى يرجع لها الباحث التاريخى بل أنها تعد مراجع جيدة من الدرجة الأولى ، لأن الرحالة قوم عايشوا كثيراً من الأحداث وجابوا الآفاق وليس من رأى كمن سمع . وهذا لا يمنع من تقويم المرجع أو الكتاب من حيث معرفة مؤلفه ومذهبه الدينى واتجاهه السياسى وشيوخه وغرضه من الرحلة فكل أولئك يحدد لنا درجة علمه ومدى نزاهته .

وقد حفل التاريخ الإسلامى برحَّالة عظام أثروا الحركة الفكرية والثقافية وكان لهم دور بارز فى إمدادنا بمعلومات ثرَّة عن العالم الإسلامى بل وغير الاسلامى فى ذلك الوقت .

فاليعقوبى قام برحلات إلى أرمينية وإيران والهند ومصر وبلاد المغرب وألف لنا كتاب البلدان ، ووضع **الاصطخرى** كتابه مسالك الممالك ، **وللمسعودى** كتابه الشهير مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ولشمس الدين **القدسى** : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم **وابن حوقل** ألف فى القرن الرابع الهجرى كتابه المسالك والممالك **والبيرونى** العالم العظيم الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى كتابه القيم الآثار الباقية عن القرون الخالية ، وتحقيق ما للهند من مقولة مرذولة فى العقل أو معقولة . **والبكرى** الذى عاش الربع الأخير من القرن الخامس له كتاب : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ومرجعه الشهير **معجم ما استعجم** ، وفى القرن السادس الهجرى ألف **الإدريسى** : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق وفى القرن السابع كتب **ابن جبير** رحلته المشهورة وكتب ياقوت الحموى معجم البلدان . وفى القرن الثامن يطلع علينا الرحالة الذائع الصيت **ابن بطوطة** ويكتب رحلته التى نسبت لاسمه رحلة ابن بطوطة واسمها الاصلى : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .

ومن الرحالة العرب الذين أدوا للعلم فوائد كبيرة :

١ – المسعودى الذى توفى سنة ٩٥٦ للميلاد ، والرجل بغدادى شرّق حتى الصين وغرّب حتى الصحراء الكبرى وبلاد السودان وللمسعودى كتابان هما :

مروج الذهب ومعادن الجوهر

٢ – ابن حوقل : عاش فى القرن الرابع الهجرى أو العاشر الميلادى جاب القارة الأفريقية من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسى كما زار الصين والهند والأندلس . ومن كتبه المسالك والممالك وصورة الأرض .

٣ – البكرى وهو مؤرخ ورحالة أندلسى ، له كتاب شهير هو المسالك والممالك وكتاب آخر هو تذكرة النسيان فى أخبار ملوك السودان وقد عاش البكرى فى الفترة من ١٠٢٨ إلى ١٠٩٤ للميلاد .

٤ – الإدريسى ، وهو أندلسى أيضا وإن هاجرت عائلته إلى الشمال الأفريقى ، ودخل الإدريسى فى خدمة الملك روجر الثانى ملك صِقِلِّية ، وله كتاب معروف هو : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، وقد ولد الإدريسى فى سبته الغربية سنة ١١٠٠ للميلاد .

٥ – ابن جبير ، وهو رحالة معروف قدم لنا وصفا تفصيليا للطريق التى سلكها من غرناطة حتى وصل الحجاز وأدى مناسك الحج . وقد طبعت رحلته تحت عنوان رحلة ابن جبير .

٦ – العمرى صاحب الكتاب المعروف باسم **مسالك الأبصار فى الممالك والأمصار** .

٧ – ابن بطوطة ، وهو أشهر من نار على علم ، وقد عاش فى الفترة من ١٣٠٤ إلى ١٣٧٧ للميلاد (٧٠٤/ ٧٧٩ هـ) قام بثلاث رحلات غَطّى فيها الشمال الأفريقى والحجاز وشرق أفريقية وغرب أفريقيا والصحراء الكبرى وبلاد الصين . وقد طبعت رحلته تحت عنوان **رحلة ابن بطوطة** وأحيانا تحت عنوانها الأصلى : **تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** .

٨ – الحسن بن الوزان المعروف بليو الافريقى Leo Africanus الذى ولد سنة خروج المسلمين من الأندلس ١٤٩٣ وأسرته جماعة من القراصنة المسيحيين سنة ١٥١٨

الدوريات العلمية :

عادة ما تصدر الجامعات والمؤسسات الأكاديمية دوريات أو مجلات لتضم أبحاثا يتقدم بها الباحثون فيها .

وقد تكون هذه الدوريات شهرية أو فصلية (كل شهور ثلاث) أو سنوية . وغالبا ما تضم هذه الدوريات بحوثا قيمة . وعلى الباحث أن يعرف المؤسسات العلمية المهتمة بمجال بحثه . مثال ذلك الجمعية التاريخية المصرية ، أقسام التاريخ فى الجامعات العربية ، مركز دراسات الخليج ، جامعة الدول العربية . دارة الملك عبد العزيز وغيرها من المؤسسات المهتمة بالدراسات التاريخية ، ومتابعة ما تنشره من دوريات .

فكلية التربية فى جامعة الملك سعود على سبيل المثال تصدر مجلة دراسات الفصيلة وكلية الآداب تصدر مجلة كلية الآداب السنوية ، ودارة الملك عبد العزيز تصدر مجلة الدارة الفصلية وجميعها تحوى مقالات وبحوثا لكبار المتخصصين .

الصحافة كمرجع تاريخى :

تغطى المادة الصحفية العربية أكثر من مائة وخمسين عاما ، فقد صدرت فى مصر أول صحيفة عربية سنة ١٨٢٨ هى **الوقائع المصرية** ، وقبل الوقائع المصرية كانت الحملة الفرنسية على مصر قد أصدرت صحيفة تحمل عنوان Corrier de l'Egypte وذلك سنة ١٧٩٨ ، ثم توالت الصحف بعد ذلك سواء فى مصر أو العالم العربى . ففى سنة ١٨٤٧ صدرت صحيفة **المبشر** فى الجزائر ، وفى ١٨٥٨ صدرت فى لبنان صحيفة **حديقة الأخبار** وفى ١٨٦٠ صدرت فى تونس صحيفة **الرائد التونسى** ، وفى ١٨٦٥ صدرت صحيفة **سورية** فى سورية سنة ١٨٦٦ صدر فى ليبيا صحيفة **طرابلس الغرب** ، وفى العراق صدرت سنة ١٨٦٩ صحيفة **الزوراء** ، وفى ١٨٧٩ صدرت فى اليمن صحيفة **صنعاء** وفى ١٨٨٩ صدرت فى **المغرب** صحيفة المغرب وفى سنة ١٨٨٩ – صدرت فى السودان صحيفة **الجازيت** وفى ١٩٠٨ صدرت فى السعودية **صحيفة الحجاز** وفى ١٩٢٨ صدرت جريدة **الكويت** .

فى نسبة المصدر والمرجع :

اتضح لنا من السياق العام لما ذكرناه فى الباب الأول والثانى أن **المصدر** نقصد به (الوثيقة والمسكوكة والأثر) أو بمعنى آخر أن المصدر هو الذى لم يرد به كاتبه أو صائغه أن يكون شاهدا على التاريخ ، ومن هنا تأتى أهميته وصدقه وحياده . أما **المرجع** فهو كتاب مؤلف تتراوح قيمته وفقا لتوثيقه والنص على مصادره ومراجعه وشموله وتغطيته كل عناصر الموضوع ، وتعمق المؤلف فى موضوعه ، وتحصيله درجات علمية عليا . . . . الخ .

إلّا أنَّ الأمر ليس كذلك دائما ، فالمراجع التى كتبت فى العصر الذى أُورخ له أحيانا يعتبرها بعض الباحثين **مصادر** ، والكتب التى كتبت فى عصور لاحقة للعصر الذى أُورخ له تعتبر **مراجع** ، كما أن الباحث عندما يؤرخ لحياة شخص ودوره مثلا ، فان الكتب أو الإنتاج الذى كتبه الشخص الذى أورخ له تعد **مصادر** ، وما كتب عنها **مراجع** ، فكتابات الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثل كتاب التوحيد المشهور تعد **مصادر** بالنسبة لباحث يكتب عن الشيخ محمد ، وما كتبه آخرون عن الشيخ فتعد **مراجع** . . وهكذا .

تمت بحمد الله